المسألة الثالثة

هل هناك تكليف بغير العقل؟

فإن قالوا : إنه بالعقل وبغير العقل.

فسلهم ما ذلك الشئ الذى هوغير العقل ؟!..

فإنهم لن يصفوه لك أبداً إلا منةً من الله ، فقل لهم عند ذلك: إنا كذلك نقول: إنهم مكلفون حين يبلغون الحلم، وتقوم عليهم الفرائض وتدرك العقول، وذلك حين يبلغون الحلم، ولا يطيقون ذلك الذى كُلفوا إلا بمنٍّ الله وعونه وتعريفه ، وإن شغب أحدٌ منهم فقال : إنا لا نصفه بمنٍّ من الله، وهو شئٌ سوى العقل.

فقل لهم عند ذلك: أفما أعطى الذى تزعمون مثل ذلك الشئ الذى هو العقل؟..

فإن قالوا: بلى [١] . فقل لهم : فما لهم لم يعرفوا كما عرف هؤلاء [٢] ، وإنما هو شئ من كان فيه مع عقله عرفَ ، فإنهم سيفرون من هذا الكلام أيضاً [٣] ، فلا يوجد لهم حجة، وإن قالوا : هو شئ سوى [٤] منَّة الله ، فسلهم ما هو؟ فإنهم لن يصفوه لك، وإن تكلفوا لك شيئاً [٥] يلدّون به [٦] ، فإنه ليس له أصلٌ .

جواب الناصر:

الجواب قال الإمامُ الناصرُ لدين الله أحمد بن يحيى، عليهما السلام: **أما قولك يا عبد الله بن يزيد البغدادى** ، لصاحبك ، واعلم أنك لن تسألهم عن شئ هو أشد عليهم من هذا وأشباهه ، وقولك فى غير موضع من كتابك أن **أهل العدل** يفرون من ١٦ظ / كلامك، وأنهم يعجزون عن / جوابك.

تُفرِّحُ بذلك نفسك وأصحابك ، فكان مثلُكَ فى هذا القول، مثل إنسان قال لجماعة، وقد خرجوا فى سفر : إذ صرتم فى الدهناء [٧] فى موضع كذا وكذا [٨] من

---

(١) وردت فى الأصل : بلا .
(٢) وردت فى الأصل : هاولى .
(٣) وردت فى الأصل: أيضىً.
(٤) وردت فى الأصل: سوا.
(٥) وردت فى الأصل: شيا.
(٦) الخصومة والعناد والجدل بالباطل.
(٧) موضع فى أرض تميم، انظر مختار الصحاح، ص٨٩.
(٨) وردت فى الأصل: كذى، وكذى.

الرمل، حيث لا يعرفُ الماء، فإنه سوف يلقاكم نهرٌ عظيمٌ، كثيرُ الماء، وحوله فواكه كثيرة، وعنده أسودٌ خوادر[1]، فكلوا من تلك الثمار، واشربوا من ذلك الماء بلا حساب، ولا عاقبة سوءٍ[2]، وأما الأسودُ فإنها سوف تفرُّ من لقائكم، إذا رأتكم فلا تهتموا بها.

فذهبوا اتكالاً على قوله، وثقة بنصيحته، وتقليداً له، فلما بلغوا الغائط الآمق[3] من الدهناء جهدهم العطش والضر، ولم يجدوا نهراً ولا ثماراً، ووجدوا[4] الأسود، فساعة عاينتهم، وثَبتْ عليهم، فافترستهم[5] جميعاً، فلم يفلت منهم أحدٌ.

وكذلك هلك من قلَّد الرجال دينَهُ بلا بيان، ولا حجة قاطعة، ولا بينة قاهرة، فهذا مثلك ومثل أصحابك، وما أعطيتهم من القول المحال، الذى ينتقضُ عليهم عند الرجوع[6]، وملاقاة الرجال.

وأما قولُكَ لأصحابك: إن من قولنا، نحن أهل **التوحيد والعدل**، إن الله، عز وجل، لايكلف العباد الا ما يستطيعون، فذلك قولنا، وأنك - زعمت - تسألنا بما كلفهم الله، عز وجل، هذا الدين وما يستطيعون به؟!..

لقد قسم الله العقول بالسويةِ:

فإنا نقول لك: إن الله، تبارك وتعالى، كلف العباد الفرائض، وجعل فيهم استطاعة البنية المركبة، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وأمرهم ونهاهم، بعد كمال العقول، وقسمه فيما بينهم بالسوية؛ ولذلك صارت الفرائض عليهم، واجبة بالسوية.

إلا أن تقول ي**اعبد الله بن يزيد البغدادى**، ومن قال بقولك: إن لبعض الناس عينين ونصف، ولبعضهم عينين إلا ربعّ!!..

فكلف هذا من الفرض ما لم يكلف الآخر!

ومثل ذلك لو أن رجلاً كان له مائة عبد، فدفع إلى كل عبد فيهم ديناراً، وأمره أن يأخذ له بذلك الدينار مسكاً، والمسك حينئذ مثقال بدينار، فذهب كلُ واحد

---

(١) تلزم عرينها ومكانها فلا تبرحه.

(٢) وردت فى الأصل: سو.

(٣) يعنى لما بلغوا منخفضا واسعاً مجهولاً من هذه الأرض.

(٤) وردت فى الأصل: ووجودوا.

(٥) وردت فى الأصل: ففرستهم.

(٦) غامضة بالأصل

منهم، فجاءه بمثقال مسك بدينار؛ لأنه لم يفاوت بينهم فى العطاء ، ولم يرخِّص لأحد منهم دون المثقال من المسك للأداء [1] ، فهل يجوز فى الحكمة عندك، أو يثبته فى العدل أو يقع عليه الأوهام، أنه لو عاقب كلهم أو بعضهم، أنه يصح له اسم حكمة أو يثبت له اسم العدل؟!

فى بيان أن الله لا يساوى بين المحسن والمسئ:

١٧و / فهذا وجهٌ ، ثم نقول لك : لو أنه دفع أيضاً إلى كل / واحد منهم ديناراً مرَّةً أخرى، وأرسلهم يأتونه بذلك المسك، على الشرط من الوزن، وهو مثقالٌ بدينارٍ، فجاء واحد منهم بنصف مثقال، وجاءه الآخر بمثقال إلا ربع، وجاءه الآخر بمثقال إلا سدس، وجاءه الآخر بثلثى مثقال ، وجاءه الآخر بمثقال على الوفاء ، بعد ما ساوى بينهم فى العطاء وكلفهم أن يأتوا بوزنٍ واحد، على ما رسم وبه أمر، ثم رضى عنهم جميعاً ، أو جعل ثواب المحسن مثل ثواب المسئ.

هل يجوز عندك أن ينسب هذا إلى الحكمة والعدل والصدق، وإنفاد القول الذى شرط على نفسه؟!!

ولا سيما أن كان القائل قال: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾[3]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ﴾[4]، وقوله: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا [5]، ﴿ .. إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾[6]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) ﴾[7].

بين العقل الطبيعى والمكتسب:

فإن قال قائل: قد رأينا العقول يزيدُ بعضها على بعض، قلنا له: إن تلك الزيادة التى سميتَ إنما هى اكتساب، اكتسبها المكتسب بأصل العقل المركب فيه، وذلك لما هذب من رأيه، واكتسب من الآداب، واستعمل من النظر والعلم والحكمة، وأما الآخر فضيّعَ عقله وشغلَه بكل فسادٍ [8] يُصدئُ [9] العقل، ويذهل عن الصلاح ، وليس

---

(١) ورد فى الاصل: العطا .. للادا .
(٢) سورة ق: الآية ٢٩ .
(٣) سورة النساء : الآية ١٢٢ .
(٤) سورة النساء : الآية ٨٧ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .
(٦) سورة الطلاق : الآية ٧ .
(٧) سورة ال عمران : الآية ٩ .
(٨) فى الاصل: فساه.
(٩) فى الاصل: يصدى.

يجوز فى عدل الله، تبارك وتعالى ، أن يفاوت بينهم فى العقول ، ثم يُحملهم من الفرض شيئاً واحداً لا تفاوت فيه، فلا يجوز فى العدل غير هذا ، لقوله سبحانه: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [2] ، فهذا جوابُ ما سألت عنْه.

وأما قولك أنك تسألنا – زعمت – إنه بالعقل وبغير العقل – وتقول لصاحبك : فسلهم : **ما ذلك الشئ الذى هو غير العقل؟!**

ونحن لم نقل : إن الله، عز وجل، زاد العباد شيئاً [3] يأخذون به دينه إلا الجوارح السالمة، والعقول الكاملة [4] ، وأما غير ذلك فلا نقول به ، وكفى [5] بما ذكرنا من الجوارح، والعقول السليمة، منَّةً من الله، جل ثناؤه، عظيمة لا أعظم منها من المنن.

بالعقل وحده يكون الإدراك:

والتعريف من الله ، عز وجل، فهو إرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمَّا تكريرك الكلام المعادَ الذى لا وجه له، فلا معنى لتكرير الكلام، ولما يعرف من نفس المسألة [6] ، والتطويل فيها عىٌّ [7] ، وقلة معرفة بفصل الخطاب.

١٧ط / وأما قولك: إن ثَمَّ شيئاً سوى العقل ، فلا شئ مع العقل يعطاه العباد إلا / سلامة الجوارح، ولاسبيل لهم إلى وجود معناً [8] غير الجوارح فى الإيمان، والخروج من المعاصى بغير ما ذكرنا ، فذلك دعوى باطل، وإن ادعيت أمراً، فأصح لنا معناً غير صحة الجوارح والعقول ، وإرسال الرسل وإنزال الكتب.

رد مقالة المجبر بالقسر والجبر على الإيمان أو الكفر :

فإنك لا تقدر على غير ذلك أبداً ، إلا دعواك على الله، عز وجل، وفريتك عليه، أنه قسر بعضاً على الإيمان كما أحبَّ ، وقسر بعضاً على الكفر كما أحب، وهذا

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٧ .
(٢) سورة البلد : الآيات من ٨ – ١٠ .
(٣) جاءت فى الأصل : شيا .
(٤) صححها بالهامش.
(٥) وردت بالأصل : كفا.
(٦) جاءت فى الأصل: المسئلة.
(٧) أى عجز.
(٨) فى الأصل : معنى.

خلاف القرآن ورده صراحاً ، وهو مكابرة العقول، والإعراض عن النصفة والتغاضى والتجاهل عن الحق، وحُبُّ الرياسة.

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما: وأما قولك أنك – زعمت – تسالنا [1] فتقول لنا : أليس قد أعطوا كلهم أن يعلموا كما يعلمُ الأنبياء والمؤمنون، من توحيد الله، سبحانه؟..

فإن قلنا: نعم، رددت علينا – زعمت – ما ذكر الله ، سبحانه ، فى كتابه من ﴿ **الذين لا يعلمون** ﴾ ، ومن ذكر أنهم ﴿ **لا يبصرون** ﴾ ، ومن ذكر أن ﴿ **ذلك مبلغهم من العلم** ﴾، فإنا – زعمت – سنرجع عما أعطيناك ونترك هذا الكلام، وقد أعلمنا إنك إنما تفرِّح نفسك، وضربنا لك مثل النهر والأسود.

معرفة الأنبياء أكبر:

ونحن نقول: إن معرفة الأنبياء ، عليهم السلام ، بتوحيد الله، عز وجل، وبمعالم دينه أكبر من معرفة الخلق ، وشاهد ذلك قوله : ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)** ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ [4] ، وما خصَّ الله ، جل ثناؤه، به الرسل، وفضله به على غيرهم، فذلك أمرٌ غير منكر، لما قلَّدهم من القيام بمعالم دينه، وجعل حاجة الخلق إليهم.

التدليل على أن معرفة الأنبياء أكبر:

ولوكان الأمر فى العلم والمعرفة سواء فى الأنبياء [5] والأمم ، لم يكن بين العالم والمتعلم فرق، ولم تكن الأنبياء، عليهم السلام، أولى [6] بالمعرفة من العوام، وهذا ما لا يقاسُ ولا يذكره أحد من أهل المعرفة، وكذلك المؤمنون بعضهم أعلم من بعض، فلذلك صارت الأئمة ، عليهم السلام ، أولى [7] بمقامات الأنبياء، صلوات الله عليهم، من الأئمة ، لما عندهم من العلم والحكمة والمعرفة، بالكتاب والسنة.

---

(١) وردت فى الأصل : تسلنا

(٢) سورة يوسف : الآية ٧٦ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥٥ .

(٤) سورة الانبياء : الآية ٧٣ .

(٥) فى الأصل : سوا .. الانبيا .

(٦) جاءت فى الإصل : اولا .

(٧) وردت فى الأصل : أولا

حول موقف الخوارج من أمير المؤمنين فى صفين :

وبذلك الفضل الواضح احتج أمير المؤمنين **على بن أبى طالب** ، صلوات الله عليه، على إخوانك **الخوارج** [1] **بحروراء**، فرجع منهم ثمانية آلاف ، لما احتج عليهم بالحجج القواطع التى لم يكن عندهم منها معرفة، فتابوا ورجعوا معه إلى **الكوفة**، ولولا أن ١٨و / تلك الحجج موجودة / معروفة فى كتاب «**صفين**» وغيره ، لذكرناها ، وبذلك الفضل والتفضيل فى العلم الذى خُصَّتْ به أئمة الهدى ووجبت الله، عز وجل، على خلقه فى أرضه ، لقوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ⑦ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾[3]، وعندما احتج أمير المؤمنين ، عليه السلام ، على **الخوارج بحروراء** فرجع منهم ثمانية آلاف، وتخلف منهم أربعة آلاف، إصراراً على الجهل، واتباعا للهوى ومُساعدة للرؤساء، بعد البيان والإعذار ، فتخلفوا عن إمام الهدى وسيد أهل زمانه، أخى الرسول وابن عمه، وأوجبَ عليهم الحكم بكتاب الله ، سبحانه .

ويلزمكم أن نسألكم أيضاً فى هذا الموضع، فنقولُ لكم: خبرونا عن **أهل حروراء** هل أراد الله، عز وجل، منهم أن يرجع منهم مع أمير المؤمنين **على بن أبى طالب**، عليه السلامُ، إلى **الكوفة** ثمانية آلاف، تائبين عارفين بالخطأ والزلة، وأراد من الأربعة آلاف التى تخلفت وأسرّت على العمى [4] بعد الحجة، أن يتخلفوا وأن يحاربوا علياً ، خليفة الله فى أرضه فى عصره؟

فإن قلتم : إن الله، عز وجل، أراد من الفريقين جميعاً هذا الفعل الذى فعلاه ، فإذا قلتم : نعم قد أراد الله ذلك .

قلنا لكم : فأيهما الصوَّابُ ، وأيهما الخطأ؟

---

(١) **الخوارج** تلك الجماعة التى خرجت على **علىّ بن أبى طالب** ونابذوا الخلفاء، وادعوا ضلالة برضاه بالتحكم، وحاربوا المسلمين بالسيف ، ولهم اسماء مختلفة **كالحرورية والشراة**، وفرق عديدة بلغت العشرين منهم: **المحكمة والنجدات والصفرية والعجاردة وغيرهم**، راجع هذه الفرقة فى كتاب الشهرستانى: الملل والنحل ١ / ١٣١ وما بعدها، والأشعرى: مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٥٦ وغيرها من كتب المقالات

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٤) وردت فى الأصل : العما

فإن قلتم: إن الصواب مع من تخلف عن الدخول مع أمير المؤمنين، عليه السلام، والخطأ مع من رجع إليه، ودخل معه الكوفة.

قلنا لكم: فلمَ سميتم بعضَ فعلهم خطأ وبعضَهُ صواباً والله، عز وجل، هو الذى قضى [1] ذلك - زعمتم - كلَهُ على الفريقين، وخلقه من فعلهم، وأراده منهم، وقدره عليهم؟

فيلزمكم أن بعض فعل الله، عز وجل، وخلقه وإرادته وتقديره خطأ، وأن بعضه صواب!! لابد بكم من إثبات ذلك، إذ أصل هذه المسألة إنما وضعتموه، إثباتاً للجبر ونفياً للعدل، وأن أفعال العباد كلها مقدرةٌ مخلوقةٌ، وإن الله، عز وجل عما قلتم، هو الذى خلق أفعالهم وأرادها وقدرها، وصير بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً، كما زعمت فى كتابك، الذى هذا جوابه.

فما مخرجك من هذا الجواب، الذى أجبناك به فى هذا الموضع، من رجوع بعض أصحابكم إلى على بن أبى طالب، عليه السلام، وتخلف بعضهم عنه؟..

فيلزمكم، على قود قولكم، أنه لا لوم على أحد من الفريقين؛ لأن كليهما، على قولكم، كذا أراد الله منها وخلق وقدَّر وقضى وشاء [2]، والله، عز وجل، لا يظلم ولايؤاخذ الناس بفعله!..

١٨ظ/ فلابد لكم أن تقولوا: إنهم كلهم مخطئون، أوكلهم مصيبون، أو بعضهم مخطئ، وبعضهم مصيبٌ.

فإن قلتم: إن كلهم مخطئ. كفرتم وكفَّرتم من حاربكم.

وإن قلتم: إن كلهم مصيبٌ.. لزمكم أنكم مصيبون فى حرب أمير المؤمنين، على ابن أبى طالب، عليه السلام، وأنه مصيب فى حربكم، وهذا قول المجانين، وليس مثله يخاطبُ لجهله، وقلة علمه!!..

وإن قلتم: إن بعضكم مصيبٌ وبعضكم مخطئ، وأن ذلك الفعل كله من الفريقين

---

(١) جاء بالأصل: قضا.

(٢) وردت فى الأصل: كذى... وقضا وشا.

إنما الله الذى خلقه وقدره وأراده، فى قولكم. لزمكم أن بعض خلق الله، سبحانه، وتقديره خطأ [1] وبعضه صواب!

وهذه المسألة وحدها تقطع جميع ما قلتم من الجبر فى كتابكم كله ، وتوجب القول بالعدل، والرجوع إلى الحق ، وهى تجزؤنا [2] وحدها، لقطعها لكل **مجبر** على وجه الأرض؛ لأنه ما لزم فى حجة واحدة من حجج الله، جل ثناؤه، لزم فى التى يقاس عليها، وفى هذا كفاية من عقل.

ونحن نثق أن كل من سمع هذا الجواب، يشهدُ عليكم بالغلبة والإنقطاع، وأن لامخرج من هذه المسائل لأحد من جميع **أهل الجبر** والفرية على الله، جل ثناؤه، فَأيَّنا الآن الذى دينه دين شيطان، كما ذكرت، ومن المشرك الذى وصفت فى كتابك، أنه حلال ماله ودمهُ وسبيهُ وقتله، فى السر والعلانية، وحرام ذبائحه ومناكحته؟!!.

لأنهم – زعمت – ليسوا بأهل الكتاب [3] ولا مقرين بجزية وإنما هم حَربٌ، فإن قلنا لك – زعمت – نعم – أخذنا بمسائل **الصفُرِيَّة** [4] ومن سمَّى من محدثى **أهل القبلة** بالشرك.

ونحن نقول لك: أليس قد احتججت، فى كتابك الذى كتب بعض أصحابك، إلى إخوانهم ينهونهم عن الدخول مع **الشيعة** [5]، ويقولون إن دينهم كان دين **الصفرية** قديماً ؟!!.

دينٌ – زعموا – اختاره الله ، سبحانه ، لهم واختصهم به دون غيره ، ثم جاءهم بعد ذلك الدين الصحيح الذى اختاره الله، سبحانه، لهم واختصهم به دون غيرهم أيضاً – كما زعموا – فى زمان **عبد الرحمن بن خليل، وعبد الكريم بن نعيم** فتركوا الصفرية وأخذوا الدين الآخر الذى خصهم الله به دون غيرهم – زعموا – فى كتابهم الذى كتبه المشايخ إلى عشائرهم، وردَّ عليهم فيه بعض أصحابنا ما فيه الكفاية.

---

(١) جاءت فى الأصل : خطا .
(٢) وردت فى الأصل : تحزينا .
(٣) فى الأصل: الكتاب.
(٤) انظر مقالتهم فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص٦٥ .
(٥) انظر مقالتهم وفرقهم فى مقالات الإسلاميين للاشعرى ١ / ٨٩ وما بعدها واعتقادات فرق المسلمين . . للرازى، ص٧٧ وما بعدها والملل والنحل للشهرستانى ١ / ١٦٩ وما بعدها ، وغيرها من كتب المقالات

وماعلمنا أحداً من جميع الناس، يأتى من التخليط الفاحش، بمثل هذا الذى قلتم، فالله المستعان.

هل علم، ﷺ، جميع صحابته بدرجة واحدة؟

فإن قال قائلٌ: فهل أعطى رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، الناسَ (العلم)[1] ١٩و/ سواء، حتى كانوا جميعا فيه سواء؟.. فإنا نقول: إن صلوات (الله)[2] عليه/ وعلى آله وسلم، قد نصح وبلّغ جميع ما أره الله، جلّ وعز، بتبليغه وأوفاهم عليم الفرائض على السواء، لم يكتمهم نصيحة، ولم يستر عنهم ما تعبدوا به، غير أن بنى آدم مختلفة هممهم وأهواؤهم، وأن بعضهم يستعمل عقله، ويصرفُ همته فى طلب العلم، وبعضهم يستعملُ عقله، ويصرف همته فى أشياء غير ذلك، من الزراعات والصناعات، والأديان والمختلفة، والفرض عليهم سواء، ولا حجةٌ على الرسول، ﷺ، فى تقصير، ولا خيانة فى تأدية[3]، ولذلك صار بعض الناس، من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، ومن تبعهم من جميع الناس أعلم من بعض.

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)﴾[4].

وقد علمتَ ما كان بين موسى وبين العالم، صلى الله عليهما، الذى لقيهُ، فوجده موسى، عليه السلام، أعلم منه، وموسى نبىٌ عالم غاية فى العلم، (فهذا جواب ماسألتنا عنه)[5].

فإن قال قائل: فهل فضل رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، يعلم جميع من طلب العلم، ولا يبخل عليه بما فيه نجاته ولا يخصُّ أحداً بعلم دون أحد.

فإن قال لنا: فلمَ زعمتم أن علىَّ بن أبى طالب أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وكتابه وسُنة نبيه بعد النبى، ﷺ؟

لمَ كان علىٌ اعلم الناس بكتاب وسنة نبيه، ﷺ؟

قلنا له: لأنه كان أرغبهم فى طلب العلم، وأحرصهم عليه، وأقربهم بهم منزلة من

---

(١) وردت فى الأصل: اعطا.
(٢) وردت بالهامش.
(٣) وردت فى الأصل: تادبة.
(٤) سورة يوسف: الآية ٧٦.
(٥) جاءت فى الأصل: بخط مخالف وبمداد أحمر، وتامة الشكل.

الرسول، صلى الله عليه، إذ هو معه، صلوات الله عليهما، جميعاً فى داره ومقاعده، فى ليله ونهاره ، مع ما أراده الله، سبحانه، من استخلافه بعد نبيه، فلا عُتب على النبى، صلى الله عليه، ولا حجة فيما خصه به على غيره، لعلمه أنه موضع حاجة **أهل الإسلام** ومفزعهم بعده، وأن جميع ما علمه رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، من العلم عائدٌ نفعه ومرفقه على الأمة ، وهو قوام دينها.

فلذلك يوجب نصح النبى ، صلى الله عليه وعلى آله، وكمال تبليغه، ونفى الاختصاص بالإثرة، بالعلم لبعض دون بعض، إذ فى ذلك الصلاح للأمة وحسن الفائدة عليها، فلذلك من جودة النظر لها، وعلى أن رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله، لايفعل من الأمر إلا ماأمره الله، عز وجل، به، لقوله: ﴿ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣** ﴾[2] ، وقوله: ﴿ **وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤** ﴾[3] .

١٩ظ / فهذا حرف واحدٌ يقرأُ على وجهين، فمن قرأ «**بالظاء**» وجب فى ذلك / أنه، عليه السلام، ليس على الغيب بمتهم، و«**الظنين**» فى لغة العرب هوالمتهم، ومن قرأ «**بالضاد**» وجبت فى ذلك أن ليس على الغيب ببخيل، و«**الضنين**» فى لغة العرب هو البخيل.

وأما قولك واعتلالك بقول الله، عز وجل: إنهم ﴿ **لا يعلمون** ﴾[4] ، ﴿ **ولا يعقلون** ﴾[5] ـ ﴿ **ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ** ﴾[6] ، فإنما ذلك كله ذم منه، عز وجل ، لهم إذ لم يطلبوا العلم ولم يصغوا إليه، وكابروا الجائى[7] به من عند الله، سبحانه ، وتركوه باتباع الهوى، واختيار العمى، وتقليد الكبراء.

وقد كانوا بصراء إذا أرادوا، وعلماء إذا أحبوا، وبلغاء فيما اشتهوا. الأترى كيف قال، عز وجل: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾[8] ، وقال: ﴿ **وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨** ﴾[9]، وقال : ﴿ **وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۝٤٦** ﴾[10]، فهذا مكر

---

(١) سورة يونس: الآية ١٥.
(٢) سورة النجم : الآية ٣.
(٣) سورة التكوير: الآية ٢٤ . (قراءة الظاء).
(٤) وردت مادة «يعلمون» بالإثبات ٨٥ مرة ، ووردت «لا يعلمون» بالنفى ٤٢ مرة.
(٥) وردت مادة «يعقلون بالإثبات ٢٢ مرة ، ووردت «لا يعقلون» بالنفى ١٠ مرات.
(٦) سورة النجم : الآية ٣٠.
(٧) وردت فى الأصل: الجاى.
(٨) سورة النمل : الآية ١٤.
(٩) سورة العنكبوت: الآية ٣٨.
(١٠) سورة إبراهيم : الآية ٤٦.

من لا بصيرة معهُ ولا علم ولا تمييز ولا معرفة ، وقولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (١)، وقول الله، عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٢)، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ ﴾ (٣) .

وإنما يقع الذم عليهم من الله،عز وجل، على تركهم للأمر الذى لو أرادوه، لقدروا عليه وأمكنهم، ولو كانوا لا يعقلون لم تلزمهم حجة، إلا كما لزمت المجانين والأطفال.

***

(١) سورة الزمر : الآية ٣.

(٢) سورة الزخرف : الآية ٨٧.

(٣) سورة الزخرف : الآية ٩.

obeikandl.com